لغة العلم المعاصر

للأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤديه. ويوم ان ينهض العلم ويخطو الى الامام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها، وتتحدد معانيها. واذا كانت العلوم في سير مطرد، وحركة دائبة، فان مصطلحاتها لا بد أن تلاحقها وتتابع السير معها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغويّة واصطلاحية تسايرها جنبا الى جنب.

وقد كان للعرب علوم يتعهدونها ويتدارسونها، فأقاموا من أجلها المعامل والمراصد، وتتبعوا الظواهر، وأجروا التجارب، وانتهوا الى كشوف لم يسبقوا اليها. وكانت لهم لغة علمية متنوعة متجددة، فلكل علم مصطلحاته، واذا ما رأوا أن مصطلحا لا يؤدي معناه أداء كاملا عدلوا عنه الى ما هو أدق وأضبط. ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربيا أصيلا أو مستعربا دخيلا، وربما فضلوا اللفظ الاجنبي اذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الاداء ولم يفتهم أن يسجلوا مصطلحاتهم في معاجم خاصة وتوافر بذلك للعربية مجموعة قيمة من «المفردات» و «التعريفات» ويكفي أن نشير من بينها الى «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (٩٩٧م)، و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوى (١٧٤٥م).

ويوم أن ركد البحث العلمي في الاسلام، ركدت لغته معه، فأهملت المعامل ونسيت المصطلحات. ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة على فترة، وكأن رجالها الأول – في القرن التاسع عشر – لم يكونوا على علم بماضيهم، ولا صلة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة. فلم يستفيدوا كثيرا من هذا التراث، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء فيه كثير من التعجل والخطأ. وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ويصلحوا هذا الخطأ. وأريد بالمجمع في القاهرة أن يساهم في ذلك بنصيب، ومن أهم اغراضه أن

يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم، أو مطبوعات خاصة، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب.

ووضع المصطلح العلمي أمر غير يسير، فهو يتطلب تمكنا من المادة، وفقها في اللغة، واحاطة بالتاريخ، ووقوفا على النشاط العلمي المعاصر. وللزمن والاستعمال شأنهما في وضوح أي مصطلح واستقراره. ومنذ أن قام «مجمع القاهرة» وهو يولي المصطلحات العلمية كبير عنايته، فقعد القواعد لوضعها، ووجه النظر الى تاريخها، ويسر السبل للحصول عليها. ودعا الخبراء والمختصين لتسجيل ما استقر رأيهم عليه منها، وناقشه طويلا في مجلسه ومؤتمره. وما اخذ به قيّده في محاضره، ونشره في مجلته ليفيد منه القراء في العالم العربي بأسره.

× × × × × × × × × × × × × ×

أصبحنا وفي العلم جديد دون انقطاع، ولم تستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم. فالمراكز القومية للبحوث العلمية ينافس بعضها بعضا. والمعامل والمختبرات تملأ الدنيا وهذه كلها تبحث وتنقب في الارض والسماء، في البحار وعالم الفضاء ولا يقنع العلماء بالكشف عن حقائق جديدة، بل يحرصون على أن يعبروا عنها، والا كتموا علمهم ولم يفد الناس منه. فلغة العلم في سير مطرد وثروة متزايدة، والمعاجم العلمية يلاحق بعضها بعضا لتدارك ما فات واستكمال ما جدّ.

ولم يكن بد لمجمع اللغة العربية في القاهرة ان يتابع هذا السير، فقد أدت الفصحى قديما العلم خير أداء، وهي كفيلة بأن تؤديه اليوم في ضبط ودقة. وتكاد المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية تكون الشغل الشاغل للمجمعيين، يتدارسونها في لجانهم، ويقفون عليها كثيرا في جلساتهم، وكل همهم أن يلائموا بين مقترحات المختصين وأصول اللغة وروحها. وقد سبق للعرب أن اشتقوا ونحتوا، واستعانوا بالمجاز اللفظي لاداء شتى المعاني، ولم يترددوا في ان يعربوا ويخضعوا المعربات لصيغهم وأوزانهم. ولا تضيق لغتنا ذرعا بلفظ مهما كان مصدره، ولا بتركيب مهما كانت غرابته.

وقيمة المصطلح في أن يؤخذ به ويشيع بين الناس. وقد درج المجمع على ان يعرض مصطلحاته على مؤتمره، وفيه ممثلون للبلاد العربية، لكي يدلوا برأيهم ويلائموا بين الاستعمالات المختلفة. ويوم أن يستقر رأيهم على مصطلح ينشر ويذاع، ولا ضير في أن يعاد النظر فيه ويعدل إن دعا الأمر. ويلتزم المجمع عادة أن ينشر مع كل مصطلح تعريفه، كي يكون أدنى للفهم وأبين لحكم المختصين، وكم يسعده أن يقف على ملاحظاتهم ويذلل معهم بعض صعابهم.

× × × × × × × × × × × ×

اننا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا، وهما معا يمداننا بجديد لا ينقطع، جديد في الآراء والنظريات، وجديد في الاجهزة والمخترعات. وكل تلك في حاجة الى دوال تؤديها، وألفاظ تعبر عنها. وتسير لغة العلم حثيثة متنوعة، تتنوع بتنوع العلوم والفنون، وتنمو بنمو الموضوعات والبحوث. وليست لغة التكنولوجيا بأقل تجديدا وابتكار، فهي تغمرنا بسيل من الألفاظ والأسماء لمستحدثات الحضارة وثمار العلم في الحياة العملية.

وهذان موردان كبيران لنمو اللغات وتطورها، وربما كانا من أغزر الموارد وأقواها، وهما يغذيان اللغات الأوروبية بغذاء لا ينقطع. واذا تتبعنا التأليف المعجمي فيها، وجدنا أن مادته في زيادة مطردة في الخمسين سنة الاخيرة، وترجع هذه الزيادة في أغلبها الى لغة العلم والحضارة.

وفي العالم العربي اليوم نشاط علمي متواصل، يحرص على أن يستعيد مجد الماضي، وينافس في الحاضر، ويسهم باختصار في حركة العلم العالمية. وفيه أيضا نهضة صناعية وفنية ملحوظة، فيه مناجم ومحاجر، وآبار زيت ومصاف، ومصانع ومولدات للطاقة الكهربية والذرية. ويعنيه ان يعبر عن ذلك كله بلسان عربي مبين.

× × × × × × ×

لا نظن أنه قدر للغة العلم قط ذيوع وانتشار مثل ما قدر لها اليوم، وما ذاك الا ثمرة من ثمار سيادة العلم وسلطانه. ونحن نعيش في عصره ولا شك، ويكاد يفرض نفسه على

مظاهر الحياة كلها. فنحس به في الحقل والمنزل، ونخضع له في المصنع والمتجر، ونعيش معه في المدرسة والمعهد. ولا سبيل لنا الا أن نستخدم ألفاظه ونردد مصطلحاته، ان شئنا أن نفهم ونتفاهم، وننعم بمستحدثات الحضارة والمدنيّة.

تلك ظاهرة لا سبيل الى انكارها، وفي كل يوم يغزو العلم ميادين جديدة، ويهدى الى كشوف ومبتكرات لا عهد لنا بها. وتسير لغته معه أينما سار، فللحياة العامة فيها نصيب، ولها في الفن والادب شأن واضح، وفي الاقتصاد والسياسة مجال ملحوظ، وعليها تقوم الدراسات العلمية والفلسفية على اختلافها. ولا بد لنا من ملاحقتها في سيرها الحثيث، وربطها باللغة العامة.

× × × × × ×

وقيمة لغة العلم في أن يلتقي عندها العلماء،وهي ولا شك اصطلاح وقد قيل قديما: «لا مشاحة في الاصطلاح» ومن العيب أن نلتقى عند اللفظ الاجنبي ثم نختلف في مقابله العربي. واستقرار الاستعمال وشيوعة وذيوعه يمنح المصطلح العلمي قوة تحقق فيه أسباب البقاء والحياة. والمعجمات العلمية وسيلة ناجعة من وسائل البحث والدرس وعليها أن تأخذ باللفظ الشائع والاستعمال السائد. وأذكر تجربة فرنسية بدأت في فجر هذا القرن، وحاولت أن تجمع كلمة المختصين على المصطلح الفلسفي وقد اضطلع بها جمع من كبار الفلاسفةالفرنسيين واخرجت معجم «لالند» الذي لا يزال حُجّة حتى الآن. وعلى هيئاتنا العلمية والثقافية أن تفيد من هذه التجربة.

وتعد معجمات متخصصة يقرها المشتغلون بالعلم في كل مادة وتلك رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافية والمجامع اللغوية والعلمية، واتحاد المجامع واتحاد الجامعات وبذا نحقق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه كما حققها أسلافنا في النهضة الاسلامية الكبرى.[1]

---

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١ - ٢٥/٩/١٩٨٥م.